قراءة في تاريخ الحضنة القديم

Reading about ancient history of Hodna

سعاد سليماني
جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري

تاريخ الارسال: 14-03-2019 تاريخ القبول: 10-06-2019 تاريخ النشر 30-06-2019

ملخص

تحتل بلاد الحضنة حيزا جغرافيا هاما ، عرف تعميرا بشريا منذ فترات ما قبل التاريخ، وعلى مر العصور شهدت المنطقة أحداثا تاريخية هامة لكنها بقيت أسيرة زمانها ؛ فلم تنقلها لنا صفحات المصادر القديمة بسخاء، و أيضا قليلة هي الدراسات الحديثة التي جاءت حول تاريخ المنطقة معظمها كان في مطلع القرن التاسع عشر.. وفي ما عدا ذلك فإننا هنا لا نجد إلا مجرد إشارات تستحضر من حين إلى آخر عبر بعض الدراسات، والغالب عليها أنها مقالات قصيرة وأوراق قدمت في منتديات ومؤتمرات علمية، ومهما يكن فهي معطيات هامة تمكننا من إعادة بناء مجريات الأحداث التاريخية التي كانت مسرحا لها ، و كذا استيعاب جغرافيتها التاريخية من خلال تقديم قراءة تحليلية للأحداث السياسية الهامة التي عرفتها في الفترة الممتدة قبيل الاحتلال الروماني إلى عشية الفتح الإسلامي

كلمات مفتاحية: الحضنة.، أورتياس.، يوغرطة .، زابي.، فاقس.، يابداس

المنارة للاستشارات

Abstract
Occupying an important geographical area, the Hodna has experienced intense human occupation since prehistoric times..Over the centuries, it has witnessed considerable historical events except that they remained forever captive of their times. From the 19th century some rare studies and research briefly touch on Hodna; in addition, they are only occasional references, mainly reports of directors, or short articles, and sometimes papers presented in scientific conferences.. However, they reveal rich information which led us to retrace some news and historical facts of which Hodna was the theater, then deduce a historical geography from an analytical reading of political events, from high antiquity to the arrival of Muslims

Keywords: : Hodna; Orthaias; jugurtha; Vaccis; Iabdas ; Zabi.

1. مقدمة

تميزت بلاد الحضنة بمكانة بارزة في تاريخ المغرب القديم، بسبب موقعها الإستراتيجي والدور الذي لعبته خلال الثورات المحلية المختلفة لصد الاحتلال الروماني و غيره من الشعوب التي أرادت انت تسلبها حريتها و أراضيها . تذكر المصادر القديمة أنها كانت قبلة لأولى الاستكشافات التي قام بها الرومان قبيل احتلاله لبلاد المغرب ، وبعدها يشار إليها في أحداث حربي يوغرطة ثم حرب السبع سنوات التي كان بطلها القائد الثائر تاكفاريناس، لكن تختفي بعدها من صفحات المؤرخين إلى غاية منتصف القرن الأول.

ومع ذلك بقيت أخبارها ضئيلة خاصة وأن النصوص الأثرية التي نعتمدها عامة في قراءة تاريخ المدن القديمة قليلة جدا وإن وجدت فهي في حالة حفظ سيئة. حاول بعض المهتمين بها جمع ما جادت به صفحات الاولين حتى يبرزو لنا محطات مختلفة من تاريخها القديم,

المنارة للاستشارات

وعليه سنعرض في ما يلي خلاصة لقراءة تحليلية استقصيناها من بعض المصادر و المراجع ، لعلها تساعد على إبراز كل الأحداث التاريخية و السياسة التي شهدتها الحضنة خلال الفترات القديمة .

2. الحضنة قبل الاحتلال الروماني

تبين الخريطة السياسية لبلاد المغرب القديم قبيل الاحتلال الروماني ، تواجد الحضنة ضمن مملكة نوميديا الشرقية المعروفة قديما بـالماسيل Massyles التي كانت خاضعة لحكم العاهل " غايا" وبعد فتوحات الملك "ماسنيسا" إبان الفترة الممتدة بين 203-193ق م ، أصبحت الحضنة تحت لواء المملكة الموحدة، وبعد وفاته تدخلت روما كعادتها لتـزعزع العرش النوميدي وتكون بذلك الحضنة في عام 116 ق م ضمن مملكة نوميديا الشرقية التي كان ملكها "آذربعل"، أحد أحفاد "مسينيسا"، وفي عام 113 ق م نشبت حرب بينه وبين ابن عمه "يوغرطة"، تمكن هذا الأخير من الانتصارعليه وتوحيد نوميديا مرة أخرى[□].

كانت أرض الحضنة مسرحا للمقاومات التي قادها الزعماء المحليون في محاربة العدو الروماني؛ فتذكرالمصادر التاريخية أهمية الحضنة لما استنجد القائد يوغرطة بقبائل الجيتول بعد سقوط العاصمة "سيرتا " سنة108ق.م على يد القائد الروماني "متيليوس"[□]،وباتت الحضنة في حالة تمر دائم رافضة الغزو الروماني ، فدعمت جيوشها مرة أخرى ضد القائد الثائر "تكفاريناس"[□]- زعيم قبائل "الموزولامي" من 17 إلى 24 أو ما يسمى بحرب نوميديا Bellum Numidum" " التي اجتاحت أراضي "الموزولام" من منطقة الحضنة إلى تغست (سوق اهراس قديما) و كلاما

المنارة للاستشارات

(قالمة قديما) ، وخلالها امتدت الثورة إلى غاية ﴿تالا﴾ بالبروقنصلية وبلغت "أوزيا" بمملكة موريطانية من جهة ثانية .

وأثناء سرد وقائع حملة "ماريوس" نحو الشرق ؛ حاول الدارسون تصور المسار الذي تحرك عبره مختلف الجيوش وكانت بعض المناطق التابعة للحضنة محطات لها ، فيُذكر أنه لما بلغت الفرق العسكرية التابعة لكل من "بوخوص" و" يوغرطة" منتصف سفح جبل الديرة بسور الغزلان،اتبعوا خطا موازيا للجيوش الرومانية وهذا على طول سلسلة جبال ونوغة شمال الحضنة وكانوا يتقدمون عنهم بمسيرة يومين، ولعل هذا ما مكن "بوخوس" و "يوغرطة" من قطع الطريق للجيش الروماني، وغادرا الحضنة مرورا بجبل "عياض" عبر برج الغدير ونزلا بقرية "غنية" الواقعة على بعد كيلومترين من خربة "زامبيا " Tamascani قديما عند الحدود الشرقية لبلدة "مجانة"، في حين كان "ماريوس" يعسكر في الطرف المقابل لهما...

ونشير هنا -عرضا فقط- إلى ما جاء به "موليرMuller " حول عملات اكتشفت بمنطقة "زراية" Zarai، منطقة حدودية في الفترة القديمة ، تقع شمال شرق حوض الحضنة على بعد حولي 50كلم من "ماكري"مقرة قديما ، تعود حسبه إلى الفترة البونية ؛ تحمل على الوجه رأس الإلهة "عشترت" وحروف بونية ترمز إلى كلمة (SRA'A) ، مع أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض من طرف بعض الباحثين ،و نضيف أيضا تلك القطعة البونية التي وجدت ضمن الكنز النقدي المكتشف بعين الكلبة (عين الخضرة حاليا)الواقعة على بعد 20 كلم جنوب غرب مقرة، مع أن هذا غير كاف للجزم بأن البونيين استوطنوا بها ، مثلما هو معروف عن "أوزيا" التي أسسها الفينيقيون لتكون من الأسواق الهامة قديما ، ومنها كانت تتم

المنارة للاستشارات

التبادلات التجارية مع المناطق الجنوبية[□□]، ولعل هذه هي العلاقة التي يمكن ربطها بالعملات التي وجدت بموقع "زرائي" الإستراتيجي والمعروف كنقطة حدودية هامة قديما.

3 . مراحل الاستيطان الروماني لبلاد الحضنة

عرف الرومان حوض الحضنة المجاور لنوميديا في وقت مبكر مع أن الفترة تبقى تقريبية، والحضنة نفسها هي منطقة البحيرات التي ذكر "سترابون" (Strabon)أن "الفاروزيين" القادمين من جنوب المغرب استغلوها للتوجه نحو "سيرتا" ، وهي التي جاءت في خريطة "بوتنجر" (Table de Peutinger) تحت اسم "سالياناي توبوننساس"(Salinae Thubonenses)[□□]، نسبة ربما للملح الذي كان يستخرج من شطها[□□].

وهي كذلك ضمن المناطق التي كانت مسرحا للتقلبات التي شهدها المغرب القديم بعد التقسيم الإقليمي الذي جمع الإفريقيتين بعد سنة 27ق. م في فترة الإمبراطور "أغسطس" August(27-14 ق م)؛ فيرى "مارسيل لوغلي" Marcel Legley أن الحملة التي قادها "لوكيوس كورنوليوس بالبوس" (Lucius Cornelius Balbus) بين نهاية عام 21 ومارس من عام 19 ق م ضد الجيتول والقرامطة [□□] الثائرين ضد الرومان والملك "يوبا" ، في المنطقة الممتدة من "الجريد" إلى الحضنة[□□]، تظهر خلالها كل من "طبنة" و"نيبيس" (nippis) الواقعتين بالجهة الشرقية للحضنة في قائمة المناطق التي ذكرت مع بعض المراكز القديمة مثل "جميلائي"[□□] و "تبوديوم"[□□] (تهودة قديما) و فيسكيرا (بسكرةقديما) [□□] كما أصبحت الواحات الواقعة على الضفة اليسرى لواد "جدي" جزء من الأراضي الإفريقية التابعة للإمبراطورية الرومانية[□□].

المنارة للاستشارات

تبقى مع ذلك فترة الوصول الروماني إلى الحضنة تقريبية، يرى البعض أن ذلك قد تم قبل حكم الإمبراطور "تراجانوس" (98-117 م)، و منهم من اقترح بداية القرن الثاني لما استقبلت مدينة طبنة مجموعة من المستوطنين الرومان ، و من الكتابات ما قد يشير إلى أنها كانت مسجلة ضمن قبيلة "بابريا" Paperia وأنها ترجع إلى نفس الفترة التي بنيت فيها " تيمقاد " و "أد ماجوراس "، ثم أخرى تشير لأول مرة إلى اسم "الفيلق الثالث أغسطس" بالحضنة [1].

باتت الحضنة ضمن الطريق الذي أنجزه الإمبراطور "هادريانوس" Hadrien**(117-138)** بعد زيارته لإفريقيا سنة 122،و يبدو أن حدودها كانت تمتد من واد الشلف إلى غاية الحضنة [2]، كما لم يتوان الإمبراطور "أنطونين التقي "(135-161)عن استغلال منطقة الحضنة لكونها معبرا سهلا وشاسعا وبها أرض كثيرة المؤن عندما أنشأ طريقا عبر جبال الأوراس سنة 145م، وكانت "سيلاس"(الخربة الزرقة) الواقعة شمال شرق حوض الحضنة أول محطة لها[3].

بدأت التخوفات من المناطق الجنوبية منذ عهد الأنطونيين،إذ أنشأوا معسكر"أد ماجوراس"[4] بمنطقة نقرين جنوب غرب تبسة عام 105 ثم معسكر "جميلائي" (القصبات) جنوب بسكرة عام 126 من أجل مراقبة هذه المناطق وتأمينها، واستمر تزايد عدد هذه ال تحصينات مع من .أردفهم من حكام [5]، ونذكر هنا حصن "أمجدل"[6] جنوب غرب حوض الحضنة الذي أنجز سنة 149 في عهد الإمبراطور "أنطونين التقي " (138-161)[7]،هذا الذي شهدت في فترته منطقة موريطانيا عمليات عسكرية هامة بين سنتي 145 إلى 149 ومن بينها وصول إمدادات عسكرية من منطقة

المنارة للاستشارات

"بانونيا" إلى القيصرية □□ وهناك نقيشة بمنطقة القهرة □□ جنوب شرق الحضنة، تشير إلى أحد اسم جندي من كتيبة بانونيا (Ala Pannoniarum)□□، ثم يؤكد لنا "براديز" من خلال حفرياته في الجنوب أن الرومان قد استوطنوا جليا هناك ابتداء من عام 126[32].

أضحت بلاد الحضنة خاضعة للرومان ضمن حدود موريطانيا التي وصلت إلى منطقتي القهرة و مسعد، اللتين بقيتا فيما بعد تابعتين إلى نوميديا، وبقيت إلى غاية فترة عملية الترحيل التي قام بها الإمبراطور "ماكسيميان" ضد قبائل الحلف الخماسي الخاضعة له عام 290□□. فهي كذلك شهدت ثورة الحلف الخماسي وقبائل البوار ضد حملة حاكم موريطانيا القيصرية "أوريليوس ليتوا"Aurelius Litua التي انطلقت حسب البعض عام 289□□ أو عام 291 أو ربما خلال السنوات الموالية□□.

بعد انقسام موريطانيا إلى مقاطعتين في عهد الإمبراطور "ديوقليسان" ، أمست بعض مناطق الحضنة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي تابعة لموريطانيا السطايفية ، يعود هذا حسب ما رجحه بعض الباحثين إلى الفترة التي جاء فيها الحاكم "ماكسيميان هيركول" (250 – 310) إلى إفريقيا سنة 297 ليواجه ويحارب قبائل الحلف الخماسي المنتفضة □□، غير أننا نعلم أن موريطانية السطايفية كانت وليدة النظام الرباعي الذي أحدثه الإمبراطور"ديوقليسان" والتي لم توضّح بدقة حدودها الجغرافية□□ فلم تكن المعلومات التي قدمها الجغرافيون دقيقة في هذا الشأن□□.

بدأ احتلال المناطق الجنوبية للحضنة منذ منتصف القرن الثاني بشكل منتظم وبلغ أوجّه في القرن الثالث □□، إذ تغيرت الحدود لتتقدم أكثر نحو الجنوب في مطلع القرن الثالث وبلغت الجيوش الرومانية الحدود الشمالية

المنارة للاستشارات

للأوراس و ضمت أيضا منطقة الزيبان جنوب – غرب بسكرة، وتنحصر بعدها نحو الشمال الغربي لحماية الحضنة من الجهة الغربية[40].

لقد شكل شط الحضنة الحدود الجنوبية لمقاطعة موريطانية القيصرية، وأن هناك مجموعة من المراكز الأمامية التابعة له مثل "عين سلطان"□□ والقهرة ومسعد،هذا الأخير الذي رابطت به جيوش الفيلق الثالث "أوغسطس" من أجل مراقبة السهول التي كانت تتردد عليها قبيلة أولاد نايل، هذه التي يرجّح أنها هي الأخرى تابعة إداريا لقائد الفيلق الثالث "أوغسطس" وليس لحاكم موريطانيا نظرا لطابعها العسكري الدفاعي□□.

أصبحت الحدود في القرن الثالث تمر عبر تحصين "سدوري □□ و مدينة القهرة حنوب شرق الحضنة، وفي القرن الرابع تمر عبر طبنة ثم "زابي"□□ شرق الحضنة؛ وهذا ما يدل على أن الإمبراطورية قامت بإخلاء كل المنطقة الواقعة جنوب وشمال-غرب سبخة الحضنة□□.

استعان الرومان بالقوات السورية من أجل التوغل نحو المناطق الجنوبية لنوميديا ، ويبدو أن "السفريين" فكروا حتى في نقل الحدود العسكرية على خط الشطوط و "واد جدي" إلى غاية "كاستيلوم ديميدي" (مسعد)غرب حوض الحضنة، غير أن الوقت لم يسعفهم لتثبيته، وعليه شهد خط الليمس الذي يتجاوز واد جدي تنظيمه تحت حكم "غورديان الثالث"(238-244) ، وهذا بجهود سواعد عناصر الجيش السوري الذين أمّنوه منذ نهاية القرن الثاني ، و ظل فعالا حتى نهاية الإمبراطورية□□.

إضافة إلى الفيلق الثالث "أغسطس" ، ظهر بمنطقة الحضنة نوع آخر من القوات الأجنبية القادمة من الغرب مثل الفرقة الرابعة "الخلكيدونية"(Chalcidenorum) التي رابطت بحامية "تاتلتي"

المنارة للاستشارات

(Tatili)[47] بونوغة شمال غرب حوض الحضنة، أو من تلك التي جيء بها من المشرق و المتمثلة خاصة في كتائب من اللفيف غير النظامي المدعو "نوميري"Numerus وهي كتيبة تدمر السورية Numerus Palmyrenorum التي رابطت بالقهرة في عهد الإمبراطور "غورديان الثالث"□□.

كثيرة هي الوقفات التاريخية والسياسية المتعلقة ببلاد الحضنة، غير أنها غابت عن المصادر التاريخية، قد تسوقنا بعض الأحداث الموالية للتطورات التي شهدتها بلاد المغرب القديم أواخر الحكم الروماني، إلى استحضار مثل تلك المقاومات المستمرة للسكان والقادة المحليين بهذا الجزء من البلاد وانتفاضهم الذي لم يتوقف ضد المحتل ؛ فنذكرمثلا ثورة "فيرموس"[49]Firmus، التي قد كانت لأراضي الحضنة فيها دورا هاما، حتى و إن لم يؤكد ذلك بعد، إن ما يوحي إلى ذلك هو تخمين المؤرخين في انساب المذكورين تحت اسم "الكابراريانساس" Caprarienses خلال تلك الثورات إلى الشعوب القاطنة بجبال "الكابراريانا س" أي إلى الحضنيين و جبال الحضنة□□، كما قد يؤكد ذلك رأي "تولوت" Toulotte الذي رأى أن المنطقة المذكورة أعلاه قد تكون جنوب الأوراس□□.

4. الحضنة والوندال

إن ما بلغنا عن مجريات الفترة الوندالية بالحضنة يكاد يكون شحيحا، إذ يذكر المؤرخ"بروكوب"Procope وبشكل مختصر أن البلاد الواقعة غرب الأوراس (الحضنة) كانت مسرحا لعدة أحداث □□، ويعتقد البعض أن الثورات الدينية التي سبقت الغزو الوندالي في القرن الرابع كانت أعنف بالنسبة للرومان□□، وكانت بعضها ضمن خريطة الحضنة؛ فيرى "بايان" أن

المنارة للاستشارات

تلك المدن التي ذاع صيتها في ظل الجمهورية الرومانية أو حتى قبل تقسيم الإمبراطورية، مثل خربة الرصاص □□ ومدينة "فاكيس"(Vaccis) المذكورة في خريطة "بوتنجر" (Peutinger) والتي اعتبرت هي نفسها منطقة "الجساسية" ، نجدها بالجزء الغربي من الحضنة وكانت تحتل مساحة 100 هكتار ويعبرها الطريق الروماني الرابط بين زابي وأراس؛ كما أنها احتوت بقايا حمامات ومعابد وكنائس □□، تعرضت للدمار مع غيرها من المدن بسبب سطو قبائل "الجيتول" أو المشادات الأولى للزحف الوندالي، ويعلل استنتاجه في عدم ظهور "فاكا"Vacca الموجودة بالجهة الغربية التي كانت سوقا داخليا حسب "بلين"Pline في المسارات التي رسمها "بوتنجر" ، مع أنها كانت واقعة على الطريق الرئيسي الرابط بين قرطاج وقيصرية، في حين ذكرت ثلاث مدن أخرى مجاورة لها وهي "ماكري"و"زابي" ثم "أراس" من طرف آخر الجغرافيين اللاتينيين كمحطات مرحلية ، وكأسقفيات من طرف المؤرخين المسيحيين□□.

نعرف أنه من جراء الفوضى التي أحدثها الزحف الوندالي، استرجع الموريون عددا معتبرا من الأقاليم□□، وعليه نفهم جانبا من أسباب العلاقة السلمية التي كانت بين الوندال والمور في الجزء الجنوب-غربي لنوميديا وجنوب موريطانيا السطايفية تحت حكم الملك "جنسريق(427-477)،والتي استمرت حتى بدايات سنة 480 في عهد الملك "هونيرك"(477-484) الذي لجأ إلى هذه المناطق لينفي سنة 484 قرابة خمسة آلاف (4996)□□ كاثوليكي إلى كل من طبنة وماكري ونيبيس (Nippis)□□، وهذه الأخيرة مجهول موقعها،ولا يُعرف عنها سوى أنها منطقة بشط الحضنة وقريبة من

المنارة للاستشارات

ماكري وطبنة، وهي التي جاء ذكرها باسم "نيبا"Niba في الوثيقة التي تجعلها ضمن نوميديا□□.

لقد أخضع الملك "هونيرك عددا من الكاثوليك للعبودية باتفاق مع الوندال□□، ولعل هذا كان أول احتكاك يتم بين الحضنة والوندال□□. غير أن العلاقة ساءت بينهما فيما بعد، خاصة لما شبّ الصراع بين أمراء الأوراس والملك هونيريك بسبب النزاع حول السيطرة على الأراضي الزراعية الممتدة شمالي الأوراس□□.

1.4 مملكـــة الحضنة :

نعلم أنه ظهرت في الجنوب النوميدي ممالك كبرى أواخر القرن الخامس، قاومت بشدة وطاردت الرومان المحتلين للمناطق السهلية المحاذية للمرتفعات □□، ومن بين هذه الممالك مملكة الحضنة ويدعى ملكها "أرتياس"Orthaias،الذي كان يعرف بملك الحضنة وجنوبي الأوراس معا□□،فكانت سلسة بوطالب تابعة له كما احتوت أراضيه على صحراء شاسعة، وبها مناطق يقطنها جنس لون بشرته بيضاء ولون شعرهم أصفر وربما قصد بهم سكان الجبال الجنوبية التي تحيط سهول الحضنة □□، إذ يبدو أنه بعد تهديم كل من "تمقاد" و"باغاي" ، نزح العديد من سكان المرتفعات المجاورة إلى الأراضي الخصبة الموجودة غرب الأوراس والمجاورة لمملكة الحضنة□□.

2.4 مـــلك الحضنـــة:

من هو ملك الحضنة؟ إن الملك المتفق عليه هو "أرتياس"،بيد أن هناك كذلك "مازوناس" الذي أراد مثل "أرتياس" أن يكون ملكا على الحضنة بل وكذلك ملكا على مور الوهاد الغربية للأوراس □□؛ إن ما نفهمه هنا هو

المنارة للاستشارات

وجود صراع بين القائدين وقد يوحي لنا هذا إلى أهمية الحضنة في تلك الفترة، وفي هذا المجال يرى "محمد البشير شنيتي"أن هذا الصراع حتمي ؛ لأن غربي الأوراس المتكون من مرتفعات بلزمة□□والحضنة والسهول الممتدة في سفوحها الجنوبية وامتدادها بحوض الحضنة الفسيح، يشكل مجالا حيويا بارز الأهمية بالنسبة لمن يريد السيطرة على المعابر المؤدية إلى السهول العليا الشرقية ، ثم يضيف أن هذا الجزء الذي حرص الرومان على التحكم فيه، يتوقع أن يكون محل صراع بين الأمراء والملوك المحليين بعد انسحاب روما منه□□،وفي هذا يذكر المؤرخ "كورتوا" أن"ماستيناز" Mastinas المعروف عند المؤرخ "بروكوب" بملك البربر،اتحد مع "ايابداس" ملك الأوراس للسطو على نوميديا واحتلالها من أجل توسيع مملكته إلى غرب الأوراس□□، عازما بذلك طرد "أرتياس"□□ ورعيته من الإقليم الذي يقيمون فيه منذ عهد بعيد□□،ليمسي بذلك حاكما على الحضنة وموريطانيا السطايفية□□، ثم نضيف كذلك ما جاء به "كورتوا" ، أنه عند اقتراب عصابات"جنسريق"(428-477) رأى"بونيفاس" كونت إفريقيا أنه بات من الضروري تأمين وحماية الحضنة وتسليمها إلى صاحب ولاء مشهود مثل "ماستياس"الموري□□.

ألا يعني هذا أيضا أن المملكة كانت قائمة و لها كيانها السياسي والاقتصادي ولم تكن خاضعة لروما في ما مضى؟

إن هذا الملك المعروف من خلال "بروكوب" باسم " أرتياس"□□ كان يكتب ويقرأ اللاتينية□□، ويذهب البعض إلى القول أنه قد ضربت العملة في عهده□□، وتذكره بعض المصادر باسم آخر وهو "فرتياس" (Vartaia)، و قد ظهر بهذا الاسم على نقيشة "آريس" المكتشفة سنة 1942، والتي أقامها

المنارة للاستشارات

لتخليد ذكرى "ماستياس"□□، الذي كانت أراضيه ممتدة من حدود الأوراس إلى الشلف،فراح كل من "مازونة" القادم من الغرب و "فرتياس" من الشرق إلى محاولة تغطية هذا الفراغ، وأمام منافسة "ماستيناس" أقام "فرتياس" تلك الذكرى مطالبا بحق أو جزء من خلافة الحضنة□□.

وفي الفترات الأخيرة من حكم الوندال عام 533، ثار "أرتياس" ضد "ايابداس" ملك الأوراس وحلفائه من أتباع "ماستيناس" بغية التخلص منهم قبل أن يستولوا على أراضيه □□ وإمارته الممتدة شمال الأوراس، في حين كانت إمارة "إيبداس"بالجزء الجنوبي منه□□.

5. الفتـــرة البزنطيـــــة

شرع أحفاد الرومان البزنطيون في استرجاع جزء من بلاد المغرب إلى دائرة حكمهم بدءا من سنة 534 م□□، وواجهوا إمارات قوية ومستقلة على تخوم المقاطعات من طرابلس إلى الأوراس ونوميديا الجنوبية، وكان معظمها حليفا للملوك الوندال، إذ تلقى الجيش البيزنطي وأتباعه من الرومان العديد من الهزائم عبر تراب نوميديا على يد ملك الأوراس "إيابداس"□□.

أثيرت بعض الشكوك حول وصول البيزنطيين إلى هذه المناطق،ويرجّح الباحث "كورتوا" أنه من خلال المعلومات التي وردت في كل من وثيقة "ديقنيتاتوم" ودستور 409، يمكن أن تكون الحدود البيزنطية قد تجاوزت جنوب الأوراس،هذا من جهة، ومن جهة أخرى أكدت الشواهد الإبيغرافية والمسكوكات تواجد الإمبراطورية جنوب الأوراس خلال القرن الرابع □□، ومن الدلائل على ذلك فقد ذكرفي إحدى "الميليات" التي ترجع إلى كل من "ماغنوس ماكسيموس"(383-388) و "فلافيوس فيكتور " (384-388)

المنارة للاستشارات

استمرار استعمال الطريق الرابط بين منطقة "سبع مقاطع "[86] ببسكرة وطبنة□□ ، و عادة – سواء في نوميديا مثلما في بيزاسين (تونس) – لم يتعد التوغل البيزنطي أبعد من الحدود الرومانية التي عرفتها إفريقيا الرومانية في القرن الأول للإمبراطورية،لكن هذا لا ينطبق على الحضنة لأنها النقطة الوحيدة التي تجاوز فيها البيزنطيون تلك الحدود □□،ونظرا لكونها منطقة حساسة، وربما أراد البيزنطيون تفادي ما حدث للرومان،هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبيّن لهم أن هذه المنطقة أصبحت جد هامة وتشكل خطرا عليهم، فيُلاحظ أن غرب الطريق العسكري من بسكرة إلى "لمباز"، تنفتح فجوة عريضة نحو الشمال بين شطوط الحضنة والجبال التي تشكل الحزام الشرقي لهذه المنطقة الشاسعة،التي تشكل أحد المعبرين القادمين من الناحية الجنوبية، ولهذا اضطروا إلى تحويط البحيرات إما من الشرق أو الغرب □□، وهذه المنطقة الهامة احتلها الرومان في وقت مبكر، ونفس الشيء قام به البيزنطيون.

إن المقاومة العنيفة التي واجهت القائد سولومون في حصني "زربولي" Zerboulé □□ و"تومر"Toumar□□،جعلته يفكر في ضرورة السيطرة على هذه المناطق ، واستطاع أن ينشر جيوشه عبر منطقة الأوراس لحماية المناطق المجاورة من التهديد الموري، فأقام عدة تحصينات في المناطق الجبلية؛ فكانت بضعة أيام تكفيه لتحديد هذه المناطق والشروع في الأعمال ومتابعتها، غير أن الوقت امتد به حتى شهر أكتوبر أو أوائل شهر نوفمبر،فداهمته التغيرات الجوية السيئة التي جعلته يلجأ إلى مناطق ذات طقس أقل قساوة من الأوراس، فكانت الحضنة الملاذ المناسب ضد هذه التغيرات الجوية، وبهذا توجه البيزنطيون لاحتلال مقاطعة "زابا" التي يضعها

المنارة للاستشارات

"بروكوب" في ما وراء الأوراس و يسميها بموريطانيا الأولى و كانت عاصمتها "ستيفس"□□ .

والشيء المؤكد هو أن "زابا " لا تستطيع أن تشكل عائقا أمام الكتائب التي طاردت فرق الملك ايابداس، فلم يكن هناك أي عدو يتجرأ على مواجهتها في هذه الهضاب الواسعة، وليس في نية القائد سولومون البحث عن أعداء لمحاربتهم؛ بل كان يسعى إلى تشجيع الرومان الذين سكنوا هذه المدن على استرجاعها، فالذين استطاعوا النجاة من مجزرة الأوراس وطُردوا من موريطانيا، وجدوا معقلهم الوحيد في الجبال الواقعة بين باتنة وسطيف أو في السلسلة الجبلية لبوطالب□□.

تمكّن سولومون في الأخير من احتلال موريطانيا السطايفية ، وتم استرجاع كل المناطق الواقعة شمال شط الحضنة، وأُنشأت بذلك قلعة "زابي جوستنيانا" بالقرب من المسيلة وأخرى بطبنة من أجل اقتسام مراقبة الحضنة مثلما كان الحال في الفترة الرومانية؛ إذ تقاسم مراقبتها كل من قائد ليمس "تبوننسيس" و قائد ليمس "زابنسيس"□□.

ومن هنا ندرك أن الإمبراطور البيزنطي أراد إعادة احتلال كل إفريقيا الرومانية مع إعادة التقسيم الجغرافي والإداري للإمبراطورية السفلى، لكن هذا لم يتحقق إلا بعد الحكم الثاني للقائد "سولومون" في إفريقيا بين 539 و544 ؛ فبدأ باحتلال الأوراس ثم زحف إلى الأقاليم الأخرى وبعد هزيمتهم مباشرة انطلق نحو مقاطعة "زابا" أو كما يسميها "بروكوب" بـ "زابي" التي كانت إحدى المدن الهامة في المنطقة؛ ومن هنا خرجت مدن مناطق عديدة من خرائبها وأعيد بناءها□□ لتلعب دورها مرة أخرى في القضاء على التواجد الأجنبي نهائيا.

المنارة للاستشارات

6. خاتمة:

إن قراءتنا للتاريخ القديم لمنطقة الحضنة من خلال المعطيات التي جادت بها الأبحاث السابقة، لم تقدم لنا إجابات شافية و تفسيرات كافية لإدراك حقائق الوقائع التاريخية التي عايشتها هذه البلاد ، كما أنها لم تحدد بشكل دقيق جغرافية كثير من المناطق و المدن التي كانت مسرحا لهذه الوقائع ؛ وذا راجع حتما إلى انعدام دراسات ميدانية بها ، فلعل التحريات الميدانية والحفريات الأثرية وحدها كفيلة بسد الفراغ الذي تركته المصادر القديمة ،ثم أننا ندرك جيدا أن منطقة الحضنة لم تشهد خلال الاحتلال الفرنسي تنقيبات هامة على غرار المدن الأخرى مثلا سطيف و تمقاد و لمباز، و التي أعطت عددا معتبرا من النصوص الأثرية التى ساعدت على كتابة و استيعاب تارخها. ربما تمكننا إعادة النظر في الخرائط و المسارات القديمة و مطابقتها مع الخرائط الحديثة من جهة و التنقل إلى أرض الواقع من جهة أخرى من تحديد تلك المواقع الإستراتجية التي كان لها دورا فعالا في الفترات القديمة ؛ نذكر مثلا مقر مملكة الحضنة أو نيبيس ، و قد نقف على التأثيرات المختلفة التي جاء بها المضطهدون الكاثوليك إلى بعض مدن الحضنة في شتى الميادين ؛ عمرانية و دينية و ثقافية .

7. قائمة المراجع:

شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني؛بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1999 ،ج1 وج2

سالوستيوس، حرب يوغرطة ،ترجمة محمد الهادي حيرش،مطبوعات دحلب الجزائر1997

97

المنارة للاستشارات

[1] سالوستيوس، حرب يوغرطة ،ترجمة محمد الهادي حيرش، ،الفقرة 19؛ شنيتي م ب-الإحتلال الروماني لبلاد المغرب،ص34،35

[2] سالوستيوس، الفقرة 80

[3] شنيتي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ،ج1،ص48 ،التهميش رقم 3

[4] Legley, M. Les Flaviens et l'Afrique. Mélanges d'archéologie et d'histoire 1968. T. 80.p. 203-204 ;
Coltelloni-Trannoy, M., L'annexion de la Maurétanie. Terminologie et enjeu de la guerre. Mélanges offerts à Jean-Marie Lassère, 2001,p142-143.

[5] Gsell, Atlas Archeologique d'Algérie, Alger 1911 ,f°15, n° 91

[6] POULLE, M. A. A travers la Mauritanie Sétifienne - Première partie: Histoire. RSAC1863,V 7,p48

[7] Gsell, f°26, n° 69.

[8] Gsell, f°26, n° 111

[9] MULLER, L. Numismatique de l'ancienne Afrique: Les monnaies de la Numidie et la Mauritanie. Copenhague1862.p69

[10] FILLAH, Mohamed El-Mostafa, Recherches sur les agglomérations antiques, le réseau urbain et le paysage rural en Numidie occidentale (Algérie),Thèse de Doctorat ,sous la direction de P.A.FEVRIER, Aix ,1986,p182

[11] MORISSON, C. la Trouvaille d'AIN- KELBA et la circulation des Minimi en Afrique au VI siècle. Mélanges de Numismatique, d'Archéologie et d'Histoire offerts à Jean Lafaurie, 1980 ,Parisp240

[12] شنيتي م.ب، ج1،ص192

[13] Gsell, f°26, n° 69; CAT,E.p177

[14] CAT, E., Essai sur la province romaine de Maurétanie Césarienne 1891, Paris,p220,note 1

[15] Ibid,p 50

[16] LEGLEY, M., op cit , p. 203-204 ; CAGNAT, R. L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs Paris p3-5

[17] DESANGES, J. Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe siècle avant J.-C. - IVe siècle après J.-C.). Rome, 1978,p190-191

[18] Gsell, f°26, n° 59-65

[19] Gsell, f° 49 n°1

[20] Gsell, f°,48n°9

[21] BARADEZ, J. Fossatum Africae,Paris1949,p106

[22] MASQUERAY, E. "Quelques inscriptions du Bellezma, de Ngaous de Tobna et de Mdoukal." Bulletin de correspondance africaine, T2: 225-226.

المنارة للاستشارات

[23]SALAMA, P. Les Voies romaines de l'Afrique du Nord Algerie,Alger1951,p 26 ;CAT(E),p180

[24]SALAMA, P. p 27 ;CAT(E), p220-221,note1et 3,

[25]Gsell, f°,50n°152

[26]COURTOIS, Les vandales et l'Afrique , Paris,p68

[27] سعاد سليماني و سعيد دبش، المنشآت الدفاعية القديمة بامجدل (جنوب غرب الحضنة) معطيات جديدة،دفاتر التاريخ و الحضارة ،العدد 02 (تحت الطبع)

[28]LOUIS. LESCHI, Études d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines (Paris, 1957),p45.

[29] CARCOPINO. J . "La base de M. Sulpicius Félix et le décret des décurions de Sala ,MEFR ,1931V48 , p32.

[30] Gsell, f°,47n°1

[31]BESCHAOUCH, A. " Encore un Gaulois en Afrique: le Lyonnais M. Licinius Fidelis!", BCTH, N.S. 5, 1969, p225-226,note28

[32]BARADEZ,1949,p106

[33]Toulotte, Anatole. Géographie de l'Afrique chrétienne ,Montreuil sur Mer,1894,p 8

[34]CARCOPINO, J. (1940). "La fin du Maroc romain." Mélanges d'archéologie et d'histoire T. 57,p369,ns 1et2

[35]CAGNAT, R, p5,67

[36]POULLE, M.A., De l'ère Mauritanienne et de l'époque de la division de la Mauritanie Césarienne en deux provinces. RSAC, 1862. V 6,p. 169

[37]POULLE, M.A, RSAC ,1863.V7, p2,4.

[38]Ibid ,p4

[39]CARCOPINO, J. "Le Limes de Numidie et sa garde Syrienne". Syria, 1925. Tome 6 fascicule 2:p146

[40]GSELL, Monuments Antiques de l'Algérie ,Alger 1901,T1,p75-76

[41]Gsell, f°,36n°26;CIL ,T8,n° 8781

[42] Cat,op cit, p 225 ;144-143ص1،ج شنيتي م.ب، نفس المرجع

43Gsell, f°,48n°1

44Gsell, f°,25n°85

45COURTOIS, C. op cit,p86

46CARCOPINO, J."Le Limes de Numidie et sa garde syrienne d'après des inscriptions récemment découvertes" . Syria, 1925. Tome 6 fascicule 1,p30

47BEBSEDDIK, N. (1982). Les troupes auxilliaire de l'armée romaine en Mauritanie Césarienne sous leHaut- Empire. Alger.p51-52et174

48 136- 135ص1،ج شنيتي م.ب

49 شنيتي م.ب، نفس المرجع ،ج 2،ص363-365 (ملخص هام حول أحداث ثورة الأمير قيرموس);KOTULA, T. (1970)." Firmus fils de Nubel et-t-il usurpateur ou roi des Maures. Acta antiqua". Budapest. Tome 18: 137-146

المنارة للاستشارات

50 COURTOIS, C ,op cit ,p120
51 TOULOTTE, M. (1894). Géographie de l'Afrique Chrétienne.Tome IV Mauritanies ,p51
52PAYEN, Colonisation du Hodna.R.S.A.C, 1893,p145
53PAYEN, R.S.A.C, 1893,p145,note 1
54Gsell, f°,25n°91
55Souad Slimani et Hanane Kherbouche," Les formes d'occupation antique dans le Hodna : état des lieux" , La frontière méridionale du Maghreb. Approches croisées(Antiquité-Moyen Âge), 1,Bordeaux 2018 ,p279
56PAYEN, Colonisation du Hodna,p145
57JANON,M."L'Aurès au VIe siècle. Note sur le récit de Procope." Ant.Afr1980,V15: p. 346.
58 MODERAN, Y. Les maures et l'Afrique romaine (IVe-VIIe siècle), École française de Rome,2003,p395
59 MODERAN ,Y. "Les frontières mouvantes du royaume vandale " Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique", Hommage à Pierre Salama, Paris1999,p 260
60TOULOTTE, Géographie de l'Afrique Chrétienne.Numidie, p234
61يوسف عيبش ،الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم جامعة منتوري قسنطينة قسم التاريخ والآثار،السنةالجامعية2007 ، ص 39 ،تهميش91
62COURTOIS, C. op cit,p295,note7
63شنيتي م.ب، نفس المرجع ،ج2،ص398
64شنيتي م.ب، نفس المرجع ،ج2،ص411
65 نفس المرجع
66POULLE, M.A., A travers la Mauritanie Sétifienne,p151
67DIEHL,C. L'Afrique Byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique, Paris, 1896, p43 ;COURTOIS, C. op cit,p341,note6
68JANON, M. op cit, p350
69Gsell, f°,27n°89
70شنيتي م.ب، نفس المرجع ،ج2،ص459-460
71POULLE, M.A., Ibid.,p 150
72COURTOIS, C. op cit, p336.
73JANON, M. Ibid, p349
74يوسف عيبش ،نفس المرجع،ص233
75CARCOPINO, J. "Encore masties l'empreur maure inconnu." Rev. Afr1956,V100,p 342
76CARCOPINO, J,p 339 -341 ;FEVRIER, P.-A.. "Masuna et Masties." AntAf 1988 ,V24,p141-145
77CARCOPINO, J. Ibid,p347

المنارة للاستشارات

78CAMPS, G. "Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles " Ant.Afr,T20, p201,note76
79458شنيتي م.ب، نفس المرجع ،ج2،ص
80CARCOPINO, J. Ibid,p347
81Ibid,p344-345.
82Ibidp347
83DIEHL, C.L , Afrique byzantine: histoire de la domination byzantine en Afrique, Paris 1896, p34
84414-413شنيتي م.ب، الليمس الموريطاني ،ج2،ص
85COURTOIS, C. Op cit, p69,note5.
86Gsell, f°, 37n°57
87COURTOIS, C, Ibid ,p69,note 5-3°
88DIEHL ,p249
89DIEHL,pp249-250
90Morizot.P. "Solomon et l'Aurès" , Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1992-1994,pp328-337
91Gsell, f°38n°91
92PROCOPE, La guerre contre les vandales,II-XX-30
93POULLE,Rev Afr,1861,p202
94DIEHL,p254
95POULLE, M.A., (1863),p 152

97

المنارة للاستشارات